

للبعثات الدبلوماسية الأجنبية قوانين دولية وأعراف أخلاقية تفرض حصانتها وحمائتها في العالم. وضمان حماية هذه المؤسسات دليل على مدى تحضر شعب وحكومة الدولة المضيفة. وللأسف الشديد أن الأمر ليس كذلك في العراق، وخاصة في العاملين الأخيرين، حيث الفتان الأمني بسبب الميليشيات المسلحة الخارجة على القانون، فتصاعدت وتيرة التجاوزات على سفارات دول صديقة للعراق، وخاصة السفارة الأمريكية بضربها بالصواريخ. وغني عن القول أن إصبع الاتهام موجه إلى الميليشيات الولائية (أي الموالية لإيران، التي تتلقى أوامرها من قائد حرس الثورة الإيراني). فكما ذكرنا في عدة مقالات سابقة، أن إيران تحاول جر العراق إلى خندقها في صراعها الدموي مع أمريكا، وعلى أرض العراق وبدماء العراقيين في حرب بالنيابة لا تبقي ولا تذر.

والملاحظ، أن الموالين لإيران من العراقيين، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، يحرضون الرأي العام العراقي ضد أمريكا، ويعتبرونها دولة محتلة، ولذلك يعدون ضرب مؤسساتها حق مشروع يقره مبدأ الدفاع عن النفس والوطن! بينما الحقيقة تؤكد أن أمريكا ليست دولة محتلة منذ نهاية عام 2011 عندما سحبت آخر قواتها من العراق بناءً على طلب من الحكومة العراقية برئاسة السيد نوري المالكي. وقبل ذلك ومنذ 2003، قادت أمريكا قوات دولية لإسقاط النظام البعثي الصدامي الجائر، بناءً على طلب من المعارضة العراقية آنذاك، والتي حكمت العراق منذ سقوط النظام. أما العدد القليل من القوات الأمريكية والدولية الأخرى المتواجدة في العراق الآن في معسكرات عراقية، فهم ضيوف جاءت بدعوة من الحكومة العراقية برئاسة الدكتور حيدر العبادي عام 2014 لمساعدة الجيش العراقي في حربه على الإرهاب الداعشي. لذلك، اعتبار أمريكا دولة محتلة كلام غير دقيق، ويضر بالمصلحة الوطنية لخدمة إيران.

والمشكلة أنه إذا ما قلنا أن الميليشيات الولائية هي التي تقوم بهذا العدوان على السفارات الأجنبية، سارع مؤيدو هذه الميليشيات بإنكار التهمة، ويطالبوننا بدليل شرعي صادر من جهة رسمية، بينما آخر الأنباء تفيد: "أن قوى سياسية عراقية مختلفة أكدت عدم إمكانية وصول لجنة التحقيق باستهداف البعثات الدبلوماسية إلى نتائج بشأن المتورطين بعمليات القصف الصاروخي، لوقوف جهات متنفذة خلفها". (1). وهذا يعني أن بعض القوى السياسية العراقية الموالية لإيران تضع العراقيل لمنع إجراء التحقيق للكشف عن الجهات المسؤولة عن هذه التجاوزات. ولكن الشيخ قيس الخزاعي زعيم إحدى هذه الميليشيات برر ضرب السفارة الأمريكية بأنه حق لأن البرلمان صوت على إخراج كافة القوات الأمريكية من العراق، وأمريكا لم تستجب لهذا القرار، لذلك فمن حقهم إخراجها بالقوة. والجدير بالذكر أن القرار البرلماني هذا لم يكن ملزماً على الحكومة، ولذلك صوّت عليه أغلب النواب تفاقياً للمضايقات قبل البلطجية الموالية لإيران.

من المؤسف أن التجاوزات على السفارات الأجنبية صارت سنة متبعة في السياسة الإيرانية منذ نجاح الثورة الإسلامية بقيادة السيد روح الله الخميني عام 1979 عندما احتل الطلبة الإيرانيون السفارة الأمريكية في طهران واحتجزوا موظفيها لأكثر من عام، وبمباركة من قائد الثورة الإمام الخميني، ودفعت إيران ثمناً باهظاً. وتكرر الأمر قبل سنوات عندما هاجم متظاهرون السفارة السعودية في طهران. واليوم يتكرر المشهد ضد السفارة الأمريكية ببغداد، حيث قامت تظاهرات هجومية شارك فيها السيد هادي العامري وزير النقل والمواصلات العراقي السابق، وعضو مجلس النواب الحالي، وقائد منظمة بدر، و ميليشيا بغطاء الحشد الشعبي العراقي المساندة للجيش العراقي، واعتدوا على السفارة إضافة إلى قصف السفارة بصواريخ الكاتيوشا بتكرار مما أثار مخاوف جميع البعثات الأجنبية في العراق.

ولا بد من الإشارة إلى أن الحشد الشعبي الحقيقي تأسس استجابة لفتوى الجهاد الكفائي للمرجع الديني السيد علي السيستاني بعد قيام عصابات داعشي عام 2014 باحتلال المحافظات الغربية التي تشكل نحو ثلث مساحة العراق. ثم زحفت لاحتلال بغداد ومحافظات الوسط والجنوب. وهذا الحشد ساهم مساهمة بطولية مع الجيش العراقي، وبقية القوات الأمنية الرسمية في تحرير المناطق المحتلة من قبل الدواعش. وصدر قانون من البرلمان العراقي يقضي بدمج الحشد بالقوات المسلحة الرسمية التي تستلم أوامرها من القائد العام للقوات المسلحة الذي هو رئيس الوزراء. ولكن هناك ميليشيات تأسست قبل وبعد الفتوى الجهاد الكفائي، وساهمت في الحرب ضد داعش، إلا إن ولاءها ليس للقائد العام للقوات المسلحة، وهي خارجة على القانون العراقي، لأن ولاءها للولي الفقيه، مرشد الجمهورية الإيرانية الإسلامية السيد علي خامنئي، ويطلق عليهم بالميليشيات الولائية، والولائيين. وتحت غطاء الحشد الشعبي.

ففي دراسة تفيد أن ((الولائيين يهيمنون على 68 منصباً قيادياً واستشارياً من بين 69 منصباً في هيئة الحشد، كما يشكل الولائيون ما نسبته 66 بالمئة من القوام الميداني للحشد، و64 بالمئة من الموارد البشرية، و65 بالمئة من مراكز القيادة والسيطرة.

((وسلطت الدراسة الضوء على "اعتراض فصائل حشد المرجعية الدينية العليا في النجف على سلوك بعض الفصائل الولائية في افتتاح مكاتب اقتصادية في المحافظات المحررة، حيث "رفضت فصائل المرجعية" وفق الدراسة- "تبرير افتتاح تلك المكاتب الاقتصادية بدعوى تضحيات الحشد الشعبي، كما طالبت فصائل حشد المرجعية وسرايا السلام بمعاينة الفصائل التي تنشط في مجال المكاتب الاقتصادية".)) انتهى. (يرجى قراءة الدراسة، الرابط رقم 2 في الهامش).

لقد بات جلياً أن إيران تريد محاربة أمريكا في العراق. بينما الحكومة العراقية، وخاصة في عهد حكومة السيد مصطفى الكاظمي، ترفض التخندق مع أي محور، و تسعى لكسب صداقة جميع الدول بما فيها إيران وأمريكا. والمسؤولون الإيرانيون لم يخفوا نواياهم في محاربة الإرهاب الداعشي في العراق، فقد صرح الرئيس الإيراني الدكتور حسن روحاني قبل أيام قائلاً: (إيران حاربت الإرهابيين في العراق وسوريا كي لا تحاربهم على حدودها)(3). ربما هذا مقبول، ونشكر إيران على تعاونها مع العراق في هذا الخصوص، ولكن أن تجر العراق والعراقيين إلى محاربة أمريكا في العراق أمر مرفوض.

### مخاطر ضرب السفارات

إن قيام الميليشيات العراقية الموالية لإيران بضرب السفارة الأمريكية والسفارات الأخرى جريمة لا تُغتفر، ولا يمكن تبريرها بأي عذر كان، لأن ضرب السفارات تنزبت عليها عواقب ومخاطر وخيمة جداً على العراق، ويدفع ثمنها الشعب العراقي باهظاً. ومن هذه العواقب ما يلي:

- 1- لقد هددت أمريكا بإغلاق سفارتها ببغداد، و إذا ما نفذت تهديدها، فهذا يُعتبر نصراً مبيئاً لإيران وأنصارها في العراق. ولكن نصر لا بد وأن تتبعه كارثة لا تقل عن كارثة تسليم المحافظات الغربية إلى داعش في حزيران 2014، بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق عام 2011، الجريمة التي كلفت الشعب العراقي عشرات الألوف من الشهداء، وتربلونات الدولارات من الدمار المادي، ناهيك عن تدنيس الأرض وهتك العرض.
- 2- إذا ما أغلقت أمريكا سفارتها ببغداد، فأغلب الدول الأخرى التي لها علاقات مصالح مع أمريكا هي الأخرى ستعلق سفارتها أيضاً. وهناك نحو 25 دولة تشعر بالقلق إزاء هذا الأمر.(4)
- 3- وربما ستنتقل أمريكا والدول الأخرى موظفي سفارتها من بغداد إلى أربيل، و هذا العمل سيكون له عواقب مدمرة على سمعة الدولة العراقية، بأنها عاجزة عن حماية الهيئات الدبلوماسية الأجنبية، وتعظيم سمعة حكومة الإقليم، وسيكون دفعاً معنوياً لها،
- 4- احتمال أن تقوم أمريكا ودول الوحدة الأوروبية بدعم مشروع استقلال كردستان، وحتى تشجيع المناطق السنية للمطالبة بتأسيس إقليم على غرار إقليم كردستان.
- 5- إذا ما تحققت المخاطر أعلاه، فإنها ستؤدي إلى عواقب اقتصادية مدمرة على الاقتصاد العراقي المنهك أصلاً، إذ يمكن لأمريكا أن تعامل العراق كدولة معادية، و تعيد الحصار الاقتصادي وفرض البند السابع عليه تماماً كما حصل بعد جريمة صدام حسين في غزوه للكوييت.
- 6- وعند قيام أمريكا وحلفائها بهذه الإجراءات، ستتوقف جميع الشركات في العالم عن التعامل مع العراق، ويصبح العراق مثل إيران، دولة منبوذة، وما يترتب على ذلك من كوارث اقتصادية، وسياسية واجتماعية.

وبناءً على كل ما سبق، ندعو قادة الأحزاب السياسية، ومليشياتها المسلحة الموالية لإيران، أن تعيد النظر في سياساتها التي تدفع العراق إلى الهاوية، وإلى ما يسمى بالدولة العميقة، والتي تعني أن الأمور ليست بيد الحكومة الشرعية، بل بيد عصابات المافيا، تتلقى أوامرها من الولي الفقيه الإيراني السيد علي خامنئي. وهذه السياسة خيانة وطنية لا تُغتفر.

لذلك نهيب بالسيد مصطفى الكاظمي رئيس الوزراء، أن يقف موقفاً حازماً من هذه العصابات، وينفذ سياسته الإصلاحية التي وعد الشعب بها، وعلى رأسها حصر السلاح بيد الدولة، و الضرب بيد من حديد كل من يتجاوز على القانون، ومحاسبة قتلة المتظاهرين، وحيثان الفساد، وإعادة هبة الدولة. كذلك إعادة الحياة لآلاف المعامل المعطلة من أجل خلق مئات الألوف من الوظائف للعاطلين... وغيرها كثير. وإذا ما نفذ السيد الكاظمي هذه الوعود، فأنا واثق أن معظم الشعب العراقي سيقف معه، لأن الشعب قد عانى الكثير من الفساد والبطالة ونقص الخدمات، وملئ وسأم من الفلتان الأمني الذي سببه الميليشيات الإيرانية والداعشية.

abdulkhaliq.hussein@btinternet.com

روابط ذات صلة

1- لا نتائج متوقعة من التحقيق باستهداف البعثات الدبلوماسية في بغداد: اللجنة مخترة

<https://www.alaraby.co.uk/politics/%D9%84%D8%A7-%D9%86%D8%AA%D8%A7%D8%A6%D8%AC-%D9%85%D8%AA%D9%88%D9%82%D8%B9%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82-%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AB%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF>

**2- ملف أعدده هشام الهاشمي قبل اغتياله بأسبوع: ناقش (اقتصاديات الولاينيين)**

<https://www.akhbaar.org/home/2020/9/275200.html>

**3- روحاني: إيران حاربت الإرهابيين في العراق وسوريا كي لا تحاربهم على حدودها**

<https://akhbaar.org/home/2020/10/276011.html>

**4- الكاظمي لسفراء 25 دولة: حريصون على حصر السلاح بيد الدولة وحماية البعثات والمقرات الدبلوماسية**

<https://akhbaar.org/home/2020/9/275806.html>